

" ناصر المبدع "

تعرفت إلى الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح عام 1974م ، أي قبل ما يقارب 57 عامًا ، كنا في منتصف العشرينيات من عمرنا ، تطورت العلاقة خلال هذه السنين إلى أن أصبحت عائلية ، سافرنا كثيراً ، تلاقى الأفكار ، وتطورت إلى واقع في عدة مجالات.

أعجبني شخصيته ، وفكره الطموح المتنور ، فقد كان دائماً مبدعاً في تصوراتهِ ، لم يكن شخصاً عادياً فقد كان خلاقاً مبتكراً يسعى دائماً للصعب البعيد المنال ، لا يرضى أن يكون شخصاً عادياً مثل غيره ، ومما يُضاف إلى ذلك أنه كان عفيفاً ، لم يدخل في مناقصات الدولة أو صفقات أسلحة أو عمولات ، فلم يرض أن يدّس اسمه أو اسم والده في مثل هذه الصفقات ، قالها لي مراراً أن والده - رحمهما الله جميعاً - قال له : " باب الرزق واسع لا (تداخر) الكويتيين في لقمة عيشهم ، لا تدخل في مناقصات ، أو تأخذ وكالات ، اشتغل في الأنشطة الأخرى .. عقارات وأسهم..... "

قبل خمسين عام كان أول من دمج شركات ، في عام 1972م ، وقبل أن يكون الدمج والاستحواذ نموذجاً اقتصادياً عالمياً واسع الانتشار ، فقد سعى لدمج 3 شركات أسماك متنافسة ، وأسّس شركة الأسماك المتحدة وبعد أن كانت الشركات الثلاث تعاني من صعوبات مالية بسبب المنافسة

القائلة ، والمصاريف الرأسمالية العالية ، فقد حققت الشركة الجديدة أرباحاً من أول سنة مالية لها ، الشيخ ناصر المبدع كان وراء بلورة هذه الفكرة وحوّلها إلى حقيقة على أرض الواقع .

لا تنتهي طموحات الشيخ ناصر المبدع ، وما أن انتهى من تأسيس شركة الأسماك حتى بدأ في تحدّ آخر فقام بتأسيس شركة العقارات المتحدة في أبريل 1973م ، لتكون من كبريات الشركات العقارية المساهمة في ذلك الوقت ، واستمرت الشركة ، ووسعت نشاطها لمشاريع عقارية عملاقة .

لم تقف طموحات المبدع الشيخ ناصر صباح الأحمد عند حدود الكويت ، بل دخل في عدة استثمارات ناجحة عقارية وصناعية ومصرفية على مستوى الدول العربية ، وأدخل معه العديد من المستثمرين والمساهمين في شركاته ، فأسس البنك الأردني الكويتي ويُعدُّ من أنجح البنوك التجارية في الأردن . ودخل في عدة مشروعات عقارية في جمهورية مصر العربية ، وأسس واحدة من كبريات شركات الألبان الناجحة في المملكة العربية السعودية .

وإضافةً لما سبق فقد وسَّع نشاطاته الاستثمارية سابقاً العديد من المستثمرين العرب في الاستثمار على المستوى العالمي ، فدخل في عدة صفقات ناجحة في المملكة البريطانية المتحدة حيث اشترى حصصاً مؤثرة في شركة " لورنو - Lonr " وفي شركة المزادات " كريستيس " " Christie's الخ . وباع لاحقاً هذه الحصص محققاً أرباحاً متميزة .

وقصة النجاح التي شاركته فيها وامتدت لسنوات . هي تأسيس بنك الخليج المتحد في البحرين عام 1980م وفي منتصف الثمانينيات عانت العديد من البنوك المحلية والعالمية من صعوبات ومشكلات مالية ، انتهت إلى إفلاس العديد من البنوك المنشأة في البحرين المملوكة من مستثمرين كويتيين .

لكن " ناصر المبدع " تمكّن من تحويل الصعوبات إلى قصة نجاح ، حيث تم استحواذ شركة مشاريع الكويت على بنك الخليج المتحد من خلال زيادة رأس مالها وإصدار أسهم لمساهمي البنك . وتمت المحافظة على رأس مال البنك بدون خسائر للمساهمين . وحققت شركة مشاريع الكويت نجاحات غير مسبوقة مقارنة مع شركات الاستثمار المساهمة الكويتية ، ولا تزال شركة مشاريع الكويت شركة استثمارية رائدة .

ليس هناك حدود لطموحات الشيخ ناصر صباح الأحمد وأفكاره وإبداعاته - طيب الله ثراه وغفر له - فقد كان دائماً يفكر خارج الصندوق ، ففي مجال المحافظة على الأنتيك والتراث الإسلامي تمكن وعلى مدى نصف قرن من تكوين مجموعة الصباح المتميزة ، ليس فقط من ناحية الكم والنوع والتنوع والندرة ، ولكن لأنها رسخت مفهومًا جديدًا هو أن المتحف ليس فقط مكانًا لعرض القطع ، ولكنه لتنمية الثقافة والحس الفني من خلال محاضرات ودراسات ومؤتمرات وحوار مجتمعي ، وإصدار كتب متخصصة تغطي أنواع الأنتيك الإسلامي كافة ، ليرجع إليها الباحثون والدارسون .

وعلى مستوى العمل السياسي في الكويت . كانت طموحات شيخنا المبدع غير مسبوقه وغير عادية تحديداً في إعادة هيكلة الاقتصاد الكويتي ومعالجة اختلالاته معالجة جذرية . وقد صاغ طموحاته متخصصون عالميون وكويتيون ، وبسقف عالمي لو تحقق لتمكنت الكويت من تجاوز أزمته الاقتصادية .

ولكن غادرنا الشيخ ناصر إلى الدار الباقية مليئاً نداء ربه. نسأل الله جلت قدرته أن يتغمد ناصرنا المبدع بواسع رحمته ، ويتقبله في الصالحين في جنات النعيم برحمة الرحمن الرحيم وأن يرزقنا مبدعاً آخر يفكر خارج الصندوق ، ويضع بوصلة الكويت في الاتجاه الصحيح ، وينقذ الكويت من أزمته المستمرة منذ عقود.

بقلم

محمود عبد الخالق النوري

وزير المالية الأسبق

2021 / 3 / 16 م